السعودية على عتبة القرن الـ 21 : المعارضة و'المتطرفون' الإسلاميون : نظرة أمريكية (2)

13-12-2002

.. الاعتقاد الوهابي السائد نادرا ما يدعو لإستعمال العنف في حسم النزاعات الدينية والسياسية. الإستثناء الرئيس الوحيد كان دعم سعودي للقضيّة الفلسطينيّة في الإنتفاضة الثانية. وحتى التطبيقات الدينية "الوهابية" السائدة تحدّد سمات حرجة لتقدّم المملكة، مثل عصرنة قطاع الخدمات المالية، تحسين نوعية التعليم، وتوسيع دور النساء في الإقتصاد السعودي. والممارسات الدينية تؤثّر عليها حقوق الإنسان وتحديث النظام القانوني أيضا. وبينما هناك المفكرون التقدمّيون الوهابيون، هناك الآخرين الذين يجدون صعوبة في استيعاب الاهتمامات خارج الإسلام والعالم العربي، أو معالجة حقائق العلم والتقنية الحديثة. وعدم القابلية السعودية لهذه المعالجة مع زيادة النمو ومعدلات مواليد السكان ساهمت على الأقل جزئيا في انتاج المحافظية الدينية. والأكثر أهمية، أن هناك تيّارات تحتية ظلامية في الممارسات الدينية السعودية، تلك إالتي تدعو إلى الكراهية الدينية وتساعد على تشجيع الإرهاب. إذ أن بعض الخطب السعودية تشجع على الكراهية واستعداء الأجانب. تهاجم بعض الكتب الدراسية السعودية والكتب الدينية النصارى واليهود، وممارسات المسلمين الآخرين.

نقدم للقارئ الكريم نظرة تحليلية لدوائر أكاديمية أمريكية مؤثرة لتطورات الوضع في السعودية والمخاطر التي تهدد "أنصار الليبرالية" ودعاة الإصلاح السياسي والإقتصادي على النمط الغربي داخل تركيبتها والتحديات التي تواجه "النخب" المرغوب فيها والتي تحظى بدعم وعناية أمريكية، وننبه القارئ الكريم أننا سنعتمد في هذه السلسلة المصطلحات والعبارات التي وردت في دراساتهم دون أي تعديل والتي تعبر عن آرائهم.

عقلية "المتطرفين" في السعودية وحدود تأثيرهم :إنّ الممارسات الإسلامية للأغلبية الواسعة للسعوديين "متزمّتة"، وقد أخذت طابع الشكل المحافظ للفقه الحنبلي، وحُددت بالعادات الإجتماعية العشائرية المحافظة . التفسير السعودي للإسلام، وتوجه العلماء السعوديين، يعكس حرفية تعليمات

محمد بن عبد الوهاب، المصلح المحافظ الذي أحدث ثورة في تصحيح العبادات وضبط الأعراف إجتماعية في أوساط المجتمع السني في منتصف القرن الثامن عشر. وأحفاد محمد بن عبد الوهاب – آل الشيخ- ما زال لهم تأثير في هيئة العلماء الرسمية و في إدارة الحجّ (فريضة حجّ) ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وكان لهم دور أيضا في رسم سياسات وزارتي العدل والتعليم. كما أن تعاليم محمد بن عبد الوهاب وتفسيراته الإسلامية يسيطران على النظام القانوني في المملكة. إلا أن السعوديين لا يستعملون اسم معلمهم الديني في وصف مثل هذه الممارسات الدينية . وبترسيخ الوهابية والسلفية في المنظومة الاعتقادية السعودية، يعتبر السعوديون أنفسهم "موحدون"، بمعنى أنهم أكثر شرعية من غيرهم.

و هذا الإجماع شكل الجزء الأساس من تركيبة المجتمع والثقافة السعودية منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى. والممارسات الوهابية السائدة شكلت على مرور الوقت قوة ملزمة حافظت على تماسك العربية السعودية. والمجتمع السعودي عموما مجتمع سلمي ومؤدّب جدا، حيث الكرم وحسن السلوك القاعدة في التعامل مع بعضهم البعض وكذا الأجانب.. الاعتقاد الوهابي السائد نادرا ما يدعو لإستعمال العنف في حسم النزاعات الدينية والسياسية. الإستثناء الرئيس الوحيد كان دعم سعودي للقضيّة الفلسطينيّة في الإنتفاضة الثانية. وحتى التطبيقات الدينية "الوهابية" السائدة تحدّد سمات حرجة لتقدّم المملكة، مثل عصرنة قطاع الخدمات المالية، تحسين نوعية التعليم، وتوسيع دور النساء في الإقتصاد السعودي. والممارسات الدينية تؤثّر عليها حقوق الإنسان وتحديث النظام القانوني أيضا. وبينما هناك المفكرون التقدمّيون الوهابيون، هناك الآخرين الذين يجدون

صعوبة في استيعاب الاهتمامات خارج الإسلام والعالم العربي، أو معالجة حقائق العلم والتقنية الحديثة. وعدم القابلية السعودية لهذه المعالجة مع زيادة النمو ومعدلات مواليد السكان ساهمت على الأقل جزئيا في انتاج المحافظية الدينية. والأكثر أهمية، أن هناك تيّارات تحتية ظلامية في الممارسات الدينية السعودية، تلك إالتي تدعو إلى الكراهية الدينية وتساعد على تشجيع الإرهاب. إذ أن بعض الخطب السعودية تشجع على الكراهية واستعداء الأجانب. تهاجم بعض الكتب الدراسية السعودية والكتب الدينية النصارى واليهود، وممارسات المسلمين الآخرين.

وتتجاوز الأقلية المتشدّدة والمتطرّفة الدينية السعودية حدود الكلمات والتحريض وتنفذ أعمالا إرهابية وعنيفة أو تدعمها وتمولها. وأكثر هؤلاء المتطرّفين لا يعادون العالم الخارجي وغير المؤمنين، وإنما يعارضون أيضا نظام آل سعود، وعمليا يعيقون كلّ الجهود من قبل أنصار الليبرالية ورجال الأعمال السعوديين لعصرنة المملكة. وينظرون للعائلة المالكة السعودية كفاسدة دينيا و سياسيا واجتماعيا. و يرون في أنصار الليبرالية وأكثر أفراد مجتمع رجال الأعمال السعوديين أنهم أقرب إلى المرتدين عن الإسلام وألصق بالمجتمعات الغربية. في الحقيقة، تشكّل هذه الأقلية من المتطرّفين الدينيين العنيفين التحدي السياسي الجدّي الوحيد حاليا للإستقرار السعودي. والكثير من هؤلاء المتطرّفين يعادي الشيعة بقوة، ويدين العديد من ممارسات السنّة في البلدان الإسلامية الأخرى . بالنسبة لهم، المجتمع الغربي فاسد أساسا، ويحاول أن يحول بين المجتمع السعودي وبين الإسلام الصحيح. باض معتقدات سياسية علمانية عربية فاسدة على حد سواء، وأن حكام العرب خونة بغض النظر عن

ميولاتهم اليمينية أو اليسارية. وأنّ الولايات المتّحدة شريك مع العدو صهيوني الذي إستولى على ثالث المساجد الإسلامية الأكثر أهمية والمكان المقدّس –القدس الشريف-. كما يعتقد هؤلاء المتطرّفين أن الجيش الأمريكي لا يضمن سلامة التراب السعودي ولكنه يحتلّها.

وقد ساعدت عدة من التأثيرات المختلفة على تسييس عمليا كلّ المتطرّفين السعوديين، وأعطتهم قاعدة أوسع محتملة من دعم الرأي العام . ومن بين هذه التأثيرات النزاع العربي الإسرائيلي، النفقات الإجتماعية من التغييرات الحاصلة مثل الإسراف في التعمير، نظام التعليم، فشل الإشتراكية العربية والقومية، وأيضا التأريخ الطويل أيضا من القتال الذي ساعد على جعل من "إلإخوان" (إخوان نجد) القوة العسكرية الفعّالة تحت حكم ابن سعود. وكذا الصورة الثابتة في الإعلام العربي لمعاناة الفلسطينيين نتيجة للإنتفاضة الثانية. ومع استمرار الوجود العسكري الأمريكي والبريطاني في العربية السعودية منذ حرب الخليج وتحرير الكويت، النظام السعودي و بشكل غير مقصود - كما هو الحال في العديد من البلدان الإسلامية الأخرى- ساعد على دعم مثل هذه التطرّف وإن بذل الجهود لقمعه. إذ أن الحاجة المستمرة للحكم الملكي السعودي لإبقاء شرعيته السياسية بتشديد دورها باعتبارها "حكومة إسلامية" قاد العائلة المالكة لمحاولة الإثبات بأنّها جديرة بوارثة التراث الوهابي بتبنّي التعليم الديني، وبتمويل المنظمات الخيرية ودعم القضايا العربية والإسلامية. و أدى هذا إلى إطلاق يد المؤسسات الخيرية، وتوحَد –وإن بشكل محدود- أكثر المتطرّفين السعوديين، وشكّل البعض صلات تنظيمية طليقة، في حين أسس آخرون -وهم قلة- منظمات رسمية. و أكثر العلماء

المتطرّفين البارزين منشغلون بالعمل أكثر من اهتمامهم بالخطب التي تهاجم العائلة المالكة والحكومة السعودية، عبر توزيع الأشرطة السمعية، بيانات، منشورات، كتابات، أو الاتصالات عبر الأنترنت.

على أية حال، بينما اختبر مثل هؤلاء المتطرّفين حدود تحمل الحكومة في أغلب الأحيان، ذهب آخرون وهم قلة لتخطيط أو إرتكاب أعمال العنف. ومن الصعب تحديد أهداف المتطرّفين الإسلاميين السعوديين من ناحية التغييرات العملية التي يرغب هؤلاء في إحداثها داخل الحكومة، المجتمع، والإقتصاد. هناك الكثير من الأصوات المتضاربة، والأكثرون يركّزون على الذي يعارضونه بدلا من الذي يريدونه. والكثير من المتطرّفين يعتقدون بأنّ ثروة الأمة يجب أن توزع بعدل وتشترك في الاستفادة منها وفق معايير دينية. وينقسم المتطرّفون السعوديون أيضا على كيفية للتعامل مع الغرب. حيث يرفض البعض بشكل علني الغرب، يظهر آخرون رغبة في إستغلال القلق الغربي من حقوق الإنسان و"الديمقراطية" للمطالبة بحرياتهم الأساسية.